عدول الكلام عن مقتضي الظاهر في رياض الصالحين نموذجا

Udool Ul klaam Un Muqtaza Al Zahir Fi Riaz El Saliheen Namozajan

Muhammad Ismail
PhD scholar, Government college university Faisalabad
ismail.pcs.212@gmail.com

Dr Iftikhar Ahmad Khan
Assistant Professor, Government college university Faisalabad:
dr.iftikhar747@gmail.com

Abstract
This research deals with a follow-up study of the issue of deviating from what is apparent, its methods and purposes. Where do we start from the problem that what is the meaning of deviation from what is apparent? What are its methods and purposes in the words of Prophet Muhammad PBUH and the words of the Arabs? In the introduction to the research to then define this rhetorical phenomenon, and everything related to it, we expanded on the examples and explained them finally; we came up with an answer to the problem. We reached the desired results from this research.
Keywords: *Exit methods, Apparent need, out purposes, Riazusalehin.*

لاشك ولا غرو في أن الكلام هوالذي يعطي العلوم والفنون منازلها ويبين مدارجها ويجلي عن صورها ويجني ضروب ثمرها ويدل على سرائرها ويظهر مكنون أسرارها وبه فرق الله تعالى الإنسان من الحيوانات وبين فيه على عظمة المن والكرم والشكر.

تحتوي هذه الدراسة ظاهرة من ظواهر البلاغة،وهي ظاهرة عدول الكلام عن مقتضاه الظاهر؛ لسبب من الأسباب البلاغية ذات التأثير في القلوب والأذهان،وتحاول تثمين محن علماء الحديث البلاغي في اكتشاف مواقفها في الأحاديث النبوية الشريفة التي هي خرجت وصدرت من رسول الله صلي الله عليه وسلم فهو منبع البلاغة.فهذا من الحقيقة المسلَّمة أنّ بلاغة النبي من أبرز مظاهر عظمته وأجلى دلائل نبوته، فهو عليه الصلوة والسلام صاحب اللسان المبين والمنطق المستقيم والحكمة البالغة والكلمة الصادقة والمعجزة الخالدة. وقد زكى الله تعالى نطقه فقال

عزوجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى o إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]. وقال سبحانه تعالى في مقام آخر: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الاَمِينُ o عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ o بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ o﴾.[2]

وقال رسول الله عن نفسه: "وأعطيت جوامع الكلم"[3] كما قال: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد"[4] . ولم يكن هذا إفتخارا منه. وإنما كان تقريرا لحقيقة ثابتة، وكيف لايكون أفصح العرب وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى قلبه نزل القرآن العظيم وقد ربه رب العالمين ونشأ وترعرع بين عرب فصحاء معربين.

وأقول: بأن هذا الموضوع: "عدول الكلام عن مقتضى الظاهر في رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين " يختص بتطبيق بين قواعد عدول الكلام عن مقتضى الظاهر والأحاديث التي أخرجها الشيخ أبي زكريا يحي بن شرف النووي رحمه الله. وكما هو المعلوم بأن رياض الصالحين كتاب من أهم كتب الحديث للإم النووي رحمه الله تعالي وذلك لتلقي الأمة عموما والعلماء خصوصا في كل زمان إليها وعنايتهم الخاصة إليها. فتطبيق القواعد على الأحاديث الواردة في رياض الصالحين يزيد أهمية الموضوع، فمن ناحية إن هذا العمل سيفتح باباً جديداً لشرح رياض الصالحين .

المبحث الأول: شخصيته وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: نسبه ونسبته:

هو الإمام العلامة محي الدين أبو زكريايحيى بن الشيخ الزاهد الورع أبي يحيى شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام - بالحاء المهملة والراء المعجمة - الحزامي النووي-

وأما نسبة "الحزامي" فهي إلى جده المذكور "حزام"، وذكر بعض أجداد الشيخ كانوا يزعمون أنها نسبة إلى الصحابي الجليل حزام أبي حكيم الله، وهذا غلط كما بينه ابن البيطار في ترجمة الإمام النووي-

---

[1]. سورة النجم، الآية: 4-3

[2]. سورة الشعراء، الآية : **193-195**

[3]. المسلم، الصحيح، كتاب فضائل الأنبياء والرسل، باب المسجد ومكان الصلوة، رقم:**1167**

[4]. الزمخشري، محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث، وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين: مقدمة المصنف، ص:**9**

بل حزام هو جده نزل في الجولان بقرية "نوى" على عادة العرب، فأقام بها، ورزقه الله ذرية إلى أن صار منهم خلق كثير"۔ [5]

المطلب الثاني: مولده ونشأته:

ولد الإمام النووي في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، بنوى [6]۔وكان أبوه من أهلها المستوطنين بها۔ياسين بن عبدالله المقرئ، الحجام، الأسود،الصالح، كان له دكان بظاهر الجابية، وكان صاحب كرامات، وقد حج أكثر من عشرين مرة وبلغ الثمانين، توفي سنة (687ه)، ودفن بمقبرة باب شرقي ذكر أبوه أن الشيخ كان نائماً إلى جانبه، وقد بلغ من العمر سبع سنين، ليلة السابع والعشرين من رمضان؛ قال: فانتبه نحو نصف الليل، وأيقظني، وقال: يا أبة! ما هذا الضوء الذي ملأ الدار ؟! واستيقظ أهله جميعاً، فلم نر كلنا شيئاً؛ قال والده: فعرفت أنها ليلة القدر۔

أنه رأى الشيخ محي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يكرهوه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي، لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته، وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن؛ قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن، فأوصيته به، وقلت له: هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه، وأزهدهم، وينتفع الناس به؛ فقال لي : أمنجم أنت ؟! قلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك؛ فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه، إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام۔

قال ابن البيطار (ت: ٧٢٤ه) : (قال لي الشيخ: فلما كان عمري تسع عشرة سنة؛ قدم بي والدي إلى دمشق في سنة تسع وأربعين، فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي على الأرض، وكان قوتي فيها جراية المدرسة لا غير)[7] ۔

وكان - رحمه الله تعالى - لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة، وقوته من قبل والده يجري عليه في الشهر الشيء الطفيف۔

---

[5] علاء الدين، علي بن إبراهيم بن العطار، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين سنة الطباعة :(1427ه ، 2007م)،الدار الأثرية ، عمان ، الأردن ،(ص 39-38-

[6] ابن كثير ،أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، البداية والنهاية ، سنة الطباعة: (1417ه، 1997م)، دار هجر ،(13/331)

[7] علاء الدين، علي بن إبراهيم بن العطار، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين سنة الطباعة :(1427ه ، 2007م)،الدار الأثرية ، عمان ، الأردن، (ص: 45-44)

ودرس بدار الحديث الأشرفية وغيرها، ولم يتناول فلساً واحداً، ولا انتقل من بيته الذي في الرواحية، وهو بيت لطيف عجيب الحال، وكان لا يشرب إلا مرة واحدة عند السحر، وما أكل شيئاً من فاكهة دمشق، ولا قبل من أحد شيئاً.

المطلب الثالث:أخلاقه وصفاته :

أجمع أصحاب كتب التراجم أن النووي كان رأساً في الزهد، وقدوة في الورع، وعديم النظير في مناصحة الحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويطيب لنا في هذه العجالة عن حياة النووي أن نتوقف قليلا مع هذه الصفات المهمة في حياته .

الزهد:تفرغ الإمام النووي من شهوة الطعام واللباس والزواج ، ووجد في لذة العلم التعويض الكافي عن كل ذلك . والذي يلفت النظر أنه انتقل من بيئة بسيطة إلى دمشق حيث الخيرات والنعيم، وكان في سن الشباب حيث قوة الغرائز ، ومع ذلك فقد أعرض عن جميع المتع والشهوات وبالغ في التقشف وشظف العيش الورع : وفي حياته أمثلة كثيرة تدل على ورع شديد ، منها أنه كان لا يأكل من فواكه دمشق ، ولما سئل عن سبب ذلك قال : إنها كثيرة الأوقاف ، والأملاك لمن تحت الحجر شرعاً، ولا يجوز التصرف في ذلك إلا على وجه الغبطة والمصلحة ، والمعاملة فيها على وجه المساقاة ، وفيها اختلاف بين العلماء . ومن جوزها قال : بشرط المصلحة والغبطة لليتيم والمحجور عليه ، والناس لا يفعلونها إلا على جزء من ألف جزء من الثمرة للمالك ، فكيف تطيب نفسي ؟ واختار النزول في المدرسة الرواحية على غيرها من المدارس لأنها كانت من بناء بعض التجار . وكان لدار الحديث راتب كبير فما أخذ منه فلساً ، بل كان يجمعها عند ناظر المدرسة، وكلما صار له حق سنة اشترى به ملكاً ووقفه على دار الحديث ، أو اشترى كتباً فوقفها على خزانة المدرسة ، ولم يأخذ من غيرها شيئاً . وكان لا يقبل من أحد هدية ولا عطية إلا إذا كانت به حاجة إلى شيء وجاءه ممن تحقق دينه . وكان لا يقبل إلا من والديه وأقاربه، فكانت أمه ترسل إليه القميص ونحوه ليلبسه ، وكان أبوه يرسل إليه ما يأكله، وكان ينام في غرفته التي سكن فيها يوم نزل دمشق في المدرسةالرواحية، ولم يكن يبتغي وراء ذلك شيئاً .مناصحته الحكام: لقد توفرت في النووي صفات العالم الناصح الذي يجاهد في سبيل الله بلسانه، ويقوم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو مخلص في مناصحته وليس له أي غرض خاص أو مصلحة شخصية ، وشجاع لا يخشى في الله لومة لائم ، وكان يملك البيان والحجة لتأييد دعواه .وكان الناس يرجعون إليه في الملمات والخطوب ويستفتونه ، فكان يقبل عليهم ويسعى لحل مشكلاتهم، كما في قضية الحوطة على بساتين الشام :

ما ورد دمشق من مصر السلطان الملك الظاهر بيبرس بعد قتال التتار وإجلائهم عن البلاد ، زعم له وكيل بيت المال أن كثيراً من بساتين الشام من أملاك الدولة ، فأمر الملك

بالحوطة عليها، أي بحجزها وتكليف واضعي اليد على شيء منها إثبات ملكيته وإبراز وثائقه، فلجأ الناس إلى الشيخ في دار الحديث، فكتب إلى الملك كتاباً جاء فيه : (وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على أملاكهم أنواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها، وطلب منهم إثبات لا يلزمهم، فهذه الحوطة لا تحل عند أحد من علماء المسلمين ، بل من في يده شيء فهو ملكه لا يحل الاعتراض عليه ولا يكلف إثباته) فغضب السلطان من هذه الجرأة عليه وأمر بقطع رواتبه وعزله عن مناصبه ، فقالوا له : إنه ليس للشيخ راتب وليس له منصب . ولما رأى الشيخ أن الكتاب لم يفد ، مشى بنفسه إليه وقابله وكلمه كلاماً شديداً ، وأراد السلطان أن يبطش به فصرف الله قلبه عن ذلك وحمى الشيخ منه ، وأبطل السلطان أمر الحوطة وخلص الله الناس من شرها. [8]

المطلب الرابع: طلبه للعلم، واجتهاده فيه

تميز -رحمه الله تعالى - منذ صغره بحرصه على العلم، وتحصيله، و اهتمامه به وفهمه وحفظه للقرآن وحبه.

ومن ذلك حفظه كتاب "التنبيه في فروع الشافعية" في أربعة أشهر ونصف، وحفظه ربع العبادات من "المهذب"، وملازمته للشيخ كمال الدين بن أحمد المغربي، وهو ابن تسع عشرة.

وكان - رحمه الله تعالى - شغوفاً بالعلم، لا يضيع شيئاً طمن وقته، يقول ابن البيطارعنه : (ذكر لي شيخنا - رحمه الله تعالى - أنه كان لا يضيع له وقت في ليل ولا نهار حتى في الطريق، وإنه دام على هذا ست سنين ثم أخذ في التصنيف، والإفادة، والنصيحة وقول الحق) [9]

وكان الشيخ أيام طلبه يحضر في اليوم الواحد على اثني عشر شيخاً يقول عن نفسه: (كنت أقرأ كل يوم اثنتي عشر درساً على المشايخ، شرحاً وتصحيحاً: درسين في "الوسيط"، ودرساً في "المهذب"، ودرساً في "الجمع بين الصحيحين"، ودرساً في "صحيح مسلم"، ودرساً في "اللمع" لابن جني في النحو، ودرساً في "إصلاح المنطق" لابن السكت في اللغة، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه؛ تارة في "اللمع" لأبي إسحاق، وتارة في "المنتخب" لفخر الرازي، ودرساً في أسماء

---

[8] نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، الدكتور مصطفى سعيد الخن، الدكتور مصطفى البغا ، محيي الدين مستو، علي الشربجي، محمد أمين لطفي، الطبعة الأولى (1397هـ، 1977م) الطبعة الرابعة عشر (1407هـ، 1987م)، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، شارع سوريا ، ص 12-10

[9] علاء الدين، علي بن إبراهيم بن العطار، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين سنة الطباعة :(1427هـ ، 2007م)،الدار الأثرية ، عمان ، الأردن، (ص : ٥١)

الرجال، ودرساً في أصول الدين؛ وكنت أعلق جميع ما يتعلق به، وشرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة - إلى أنه قال - وبارك الله لي في وقتي، واشتغالي وأعانني عليه)ـ [10]

المطلب الخامس: شيوخه:

سمع من الكثير من المشايخ والعلماء ومنهم:

محمد بن أحمد المقدسي [11]،وهو أجل شيوخه، وسمع من إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر [12]،وأحمد بن عبد الدائم [13]، وخالد النابلسي [14]، وعبد العزيز الحموي الأنصاري ـ[15]، وعبد الكريم بن عبد الصمد (عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد الحرستاني، أبو محمد،

---

[10] المرجع نفسه (ص: 52-51)

[11] المفتي محمد بن أحمد بن نعمة المقدسي أحد الأئمة ، وسادات العلماء، لما توفي أخوه محمد في شوال ولي مكانه تدريس الشامية البرانية؛توفي سنة (٦٨٢ ه)، ترجمه في: البداية والنهاية ، المؤلف: ابن كثير ؛ أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، الطباعة: دار هجر ، سنة: (1417ه ، 1997م)، (13/3198)، وتذكرة الحفاظ (4/189)، وشذرات الذهب (5/378

[12] كبير المحدثين ومسندهم الإمام تقي الدين إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن عبدالله بن أبي البسر التنوخي الدمشقي، أبو محمد، تولى نظر المارستان النوري وغيره، توفي سنة (176ه) عن ثلاث وثمانين سنة ترجمته في البداية والنهاية ، المؤلف: ابن كثير ؛ أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، الطباعة: دار هجر ، سنة: (1417ه ، 1997م)، (13/282)، وتذكرة الحفاظ (4/177) وشذرات الذهب (5/337

[13] أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو العباس المقدسي النابلسي، تفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ، وكان فاضلاً يكتب سريعاً، حكي أنه كتب مختصر الخرقي في ليلة واحدة، توفي بسفح قاسيون و به دفن سنة (٦٦٨ ه) وقد جاوز التسعين ترجمته في: البداية والنهاية (13/282)، وتذكرة الحفاظ (4/1417)، وشذرات الذهب (5/365

[14] هو الإمام المحدث الحافظ خالد بن يوسف بن سعد بن حسن النابلسي، كتب ورحل، وكان ثقة متثبتاً، ذا نوادر ر ومزاح، وكان يحفظ جملة كثيرة من الغريب، وأسماء الرجال، وكناهم، ولي مشيخة الحديث بأماكن، وكان أسمر ربعة من الرجال وبه عرج توفي سنة (663ه)ـ ترجمته في البداية والنهاية (13/246)، وتذكرة الحفاظ (4/159)، وشذرات الذهب (5/1317

[15] عبد العزيز بن أبي عبد الله محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف الأنصاري أبو محمد الحموي، تفقه على جماعة وكان من أذكياء بني آدم برع في الفقه والشعر، وحدث كثيراً، توفي في ثاني رمضان سنة (552 ه) ترجمته في تذكرة الحفاظ (4/179)، وشذرات الذهب (٥/٣٠٩)، وطبقات الشافعية (257/8) ، والحسن بن محمد البكري (((المحدث أبو على الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري التيمي الصوفي، حدث بالكتب الطوال، وولي حسبة دمشق، ومشيخة الشيوخ، وليس هو بالقوي ضعفه عمر بن الحاجب فقال : (كان

خطيب بغداد، توفي بمصر سنة (٦٦٢هـ)- ترجمته في : البداية والنهاية ، المؤلف: ابن كثير ؛ أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، الطباعة: دار هجر،سنة: (١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م)،(١٣/٢٤٣)وتذكرة الحفاظ (٤/١٥٧)، وشذرات الذهب (٥/٣٠٩)،وعبد الرحمن الأنباري [16]، وإبراهيم بن علي الواسطي [17]وغيرهم-

المطلب السادس: تلاميذه

سمع منه خلق كثير من العلماء، والحفاظ، والصدور، والرؤساء، وتخرج به خلق كثير من الفقهاء، وسار علمه وفتاويه في الآفاق، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ: أبو عبد الله محمد إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي[18] ،وأبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن الدمشقي المعروف بالحافظ المزي[19]، ومحمد بن أبي الفتح البعلبكي [20] وغيرهم كثير-

---

إماماً عالماً لسنا فصيحاً مليح الشكل أحد الرحالين، إلا أنه كان كثير الدعاوي عنده مداعبة ومجون، داخل الأمراء، وجدد مظالم- ترجمته في: تذكرة الحفاظ (4/157)، وشذرات الذهب (5/274

[16] المفتي جمال الدين عبد الرحمن بن سالم بن يحيى الأنباري ثم الدمشقي الحنبلي توفي سنة (661 هـ)- ترجمته في تذكرة الحفاظ (4/163

[17] الإمام القدوة مسند الوقت تقي الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل بن الواسطي الصالحي الحنبلي، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق، كان رجلاً صالحاً عابداً، تفرد بعلو الرواية، ولم يخلف بعده مثله، وكان داعية إلى مذهب السلف، توفي بدمشق سنة (692 هـ)- ترجمته في البداية والنهاية (13/353)، وتذكرة الحفاظ (4/187)، شذرات الذهب ، المؤلف ابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي ، الطباعة: دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، سنة: (1406هـ، 1986م)، (5/419

[18] الإمام المحدث الخطيب البليغ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة الكناني الحموي، ولد بحماة سنة (639 هـ) ولي القضاء في دمشق وسار به سيرة حسنة، له عدة كتب منها كشف المعاني، وكتاب تذكرة السامع والمتكلم بآداب العالم والمتعلم وغيرها، توفي بمصر سنة (733 هـ) ودفن بالقرافة- ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى ، المؤلف: تاج الدين السبكي ، الطبعة الأولى: مطبعة عيسى الحلبي البابي ، القاهرة ، سنة: (1383هـ ، 1964م) ، الطبعة الثانية: مطبعة دارهجر ، القاهرة ، سنة: (1413هـ، 1992م)،(9/139) وغيره

[19] أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد الملك بن أبي الزهر الكلبي القضاعي الدمشقي المعروف بالمزي، حافظ زمانه ونابغة دهره، خدم السنة خدمة جليلة، فضبط الأسانيد والأسماء، ومن أهم كتبه تهذيب الكمال في أسماء الرجال؛ توفي سنة (862 هـ)- ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ، المؤلف: تاج الدين السبكي ، الطبعة الأولى: مطبعة عيسى الحلبي البابي ، القاهرة ، سنة: (1373هـ ، 1964م) ، الطبعة الثانية: مطبعة دارهجر ، القاهرة ، سنة: (1313هـ، 1992م)، (10/395)، وتذكرة الحفاظ (4/193 برقم 1176

المطلب السابع: مؤلفاته:

لا يخفى على ذي بصيرة أن الله - تبارك وتعالى - عناية بالنووي، وبمصنفاته، فقد ألف في علوم شتى، وانتفع الناس بها في سائر البلاد الإسلامية، وأكبوا على تحصيل تواليفه، حتى من كان له مبغضا في حال حياته كان مجتهداً في تحصيلها والانتفاع بها بعد مماته - فرحمه الله رحمة واسعة - ومن مؤلفاته ما يلي:

1: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"- (طبع عدة طبعات)-

2: "الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمات"، طبع في الهند سنة (1340هـ)-

3: "رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين"- طبع عدة طبعات وهو من أشهر كتبه على الإطلاق-

4: "الأذكار من كلام سيد الأبرار"- وهذا الكتاب طبع عدة طبعات-

5:"الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام"- وهو المعروف بالأربعين النووية-

6:"التيسير في مختصر الإرشاد في علوم الحديث"- طبع أربع طبعات من آخرها عن دار الكتاب العربي ببيروت سنة (1405هـ)-

7:"إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق"- طبع بمكتبة الإيمان بالمدينة النبوية سنة (1407هـ)-

8:"التحرير في شرح ألفاظ التنبيه"، طبع سنة (1407هـ) عن دار القلم بدمشق-

9:"العمدة في تصحيح التنبيه" - طبع بمصر سنة (1329هـ) كما في ذخائر التراث العربي الإسلامي (2/177)-

10:" الإيضاح في المناسك"- طبع بيروت عن دار الكتب العلمية-

11:" الإيجاز في المناسك"- طبع بحيدر آباد بالهند بعنوان "الإشارات"-

12:" التبيان في آداب حملة القرآن"، وهذا الكتاب طبع عدة طبعات-

13: مختصر التبيان في آداب حملة القرآن واسمه "مختار البيان"- منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الظاهرية بدمشق برقم (6739)

---

[20] الإمام الفقيه المحدث النحوي بقية السلف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلبكي الحنبلي وكان عالما بالفقه والنحووله اعتناء بالمعاني وبالرجال سمع الكثير وكتب الأجزاء وخرج وأفاد روى لنا عن الفقيه اليونيني وابن عبد الدائم وطائفة توفي سنة (709 هم) بالقاهرة غريباً - رحمه الله تعالى - ترجمته في: تذكرة الحفاظ (4/196)

14:"مسألة الغنيمة"ـ طبعت بتحقيق الشيخ مشهور بن حسن سلمان باسم "وجوب تقسيم الغنيمة"ـ

15: "الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام"، طبع بدمشق عن دار الفكر سنة (1406هـ) بتحقيق أحمد راتب حموش.

16: "الفتاوى"ـ طبع عدة طبعات ومنها طبعة عبد القادر أحمد عطا في مصر سنة (1406هـ) بعنوان "المنثورات والمسائل المهمات"ـ

17: "تحفة طلاب الفضائل"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 15) وقال: (ذكر فيه التفسير، والحديث والفقه واللغة وضوابط مسائل من العربية، وغير ذلك جليل في معناه)ـ

18: " المنهاج في مختصر المحرر " للرافعيـ ذكره الخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: (16) ؛ وقال السيوطي في "المنهاج السوي" (ص: 64) : (المنهاج مختصر المحرر مجلد لطيف، ودقائقه نحو ثلاثة كراريس، ورأيت بخطه أنه فرغ منه تاسع عشر رمضان سنة تسع وستين، وهو الآن عمدة الطالبين والمدرسين والمفتين)، وهو مطبوع باسم "روضة الطالبين وعمدة المفتين"ـ ومن آخر طبعاته طبعة المكتب الإسلامي سنة (1412هـ) بدمشق، بإشراف الأستاذ: زهير الشاويش وهي في اثني عشر مجلداً.

19: "حزب أدعية"ـ ذكره السخاوي في ترجمة النووي (ص : 15) ؛ وقال : (رأيته بمكة)ـ

20: "جز مشتمل على أحاديث رباعيات"، لم أقف على من ذكره له، غير أنه قال في شرحه لصحيح مسلم (35/2-36) في كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان : (وفي هذا الإسناد طريفة، وهو أنه اجتمع فيه أربعة تابعون) ثم قال: (وقد جمعت فيه - بحمد الله تعالى - جزاء مشتملاً على أحاديث رباعيات، منها أربعة صحابيون بعضهم عن بعض وأربعة تابعيون بعضهم عن بعض)ـ

وقال في شرح مسلم (9/272) في كتاب النكاح، باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته أيضاً : (ـــ قد أفردتها في جزء مع رباعيات الصحابة) ـ

21: " دقائق المنهاج"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 13)ـ

ومنه نسختان مخطوطتان في مكتبة الأوقاف العامة بالموصل - فك الله أسرها - تحت رقم (107/22 - مجموع)، وأخرى تحت رقم (65/65 - مجموع)[21].

22: "رؤوس المسائل" ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: (15)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (0/910) ؛ وعده بعضهم من الكتب المفقودة.

23: "مختصر آداب الاستقاء"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 15) بهذا العنوان

24: "مختصر أسد الغابة في معرفة الصحابة"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 15)؛ وعده بعضهم من الكتب المفقودة.

25:" مختصر البسملة"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 15) ، وقال : (رأيته بخطه، وهو في "شرح المهذب" بتمامه).

26:" مختصر تأليف الدارمي في المتحيرة"ـ أحال عليه - رحمه الله تعالى - كما في شرح المهذب (2/434) بقوله : (حتى صنف الدارمي فيها مجلدة ليس فيها غير مسألة المتحيرة، وتقريرها، وتحقيق أصولها، واستدراكها هو على كثير من الأصحاب، وسترى ما أنقل منها هنا من نفائس التحقيق - إن شاء الله تعالى - ، وقد كنت اختصرت مقاصد تلك المجلدة في نحو خمس كراريس، وقد رأيت الآن الاقتصار على نبذ يسيرة من ذلك).

27:"مختصر التذنيب"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص : 15)؛ وعده بعضهم من الكتب المفقودة.

28:" مختصر الترمذي"ـ ذكره الشيخ مشهور بن حسن سلمان في تحقيقه على كتاب "تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين" (ص: 90 في الحاشية) ـ

29:"مختصر التنبيه"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص : 15)، والسيوطي في "المنهاج السوي" (ص : 65).

30:"مسألة نية الاغتراف"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 15).

31:" المقاصد"ـ نسب هذه الرسلة للنووي الزركلي في "الأعلام" (8/149)، ولم يذكر من ترجم للنووي هذا الكتاب له.

32:"مناقب الشافعي"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 15) وقال : (اختصر فيه كتاب البيهقي الحافل في ذلك بحذف الأسانيد، وهو في مجلد)، والسيوطي في "المنهاج

---

[21] تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص : 79 في الحاشية

السوي" (ص: 64) وقال : (أحال عليه في "شرح المهذب")، وذكره الزركلي في الأعلام (8/149) ضمن كتبه المخطوطة.

33:"مهمات الأحكام". ذكره الإمام السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 15) والسيوطي في "المنهاج السوي" (ص: 63).

1 ومنها كتب ابتدأها، ولم يتمها؛ عاجلته المنية:

1:"المجموع شرح المهذب للشيرازي إلى باب المصراة". ولم يتمه، ولو قدر له أن يتمه لاستغنى الناس به عن غيره،فهذا الشرح يتناول الأحكام الفقهية، ولغات الكتاب، وتخريج أحاديثه وآثاره، والترجمة لمن يرد ذكره من الأعلام، ولما يعرض من أسماء الأماكن والبلدان، ويتممه بفوائد وفروع ذات علاقة بالمسألة التي يشرحها، ثم يتناول مذاهب العلماء في المسألة وأدلتهم.

ثم قام الإمام السبكي بإكماله ولكنه لم يتمه؛ ثم جاء بعده الشيخ محمد نجيب المطيعي فأتمه فكمل الكتاب، وطبع في ثلاث وعشرين مجلداً، وكان من آخر طبعاته وأجودها طبعة دار إحياء التراث سنة (1415هـ).

2:"جامع السنة". ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 14)، وقال: (شرع في أواله، وكتب منه دون كراسة)؛ وعدهم بعضهم من الكتب المفقودة.

3: "شرح التنبيه". ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 13)، وقال: (وصل فيه إلى أثناء باب الحيض، وهو غير النبذ الذي رأيته في مجلد، فإنه قد شرح فيه مواضع من جميع الكتاب، وهو من أوائل ما صنف) .

4:"شرح الوسيط". ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 14)، والسيوطي في "المنهاج السوي" (ص: 62) وقال: (و "شرح الوسيط " المسمى بـ" التنقيح"، قال الإسنوي: وصل فيه إلى شروط الصلاة).

5: "شرح البخاري". ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 13)، وقال : (انتهى فيها إلى كتاب العلم، وسماه"التلخيص")، وقال الإمام السيوطي في "المنهاج السوي " (ص: 63) : (كتب منه مجلدة)، وذكره في شرحه على صحيح مسلم (1/136، 164)؛ وطبع الكتاب في مصر بعناية محمد منير الدمشقي سنة (1376 هـ) ضمن شروح أخرى.

6:"شرح سنن أبي داود" ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 12)، وقال: (وصل فيها إلى أثناء الوضوء، سماه" الإيجاز"، وسمعت أن زاهد عصره الشهاب ابن رسلان

أودعها برمتها في شرحه على السنن، وبنى عليها)، وقال الإمام السيوطي في "المنهاج السوي " (ص: ٦٤) : (كتب منه يسيراً)۔

7:"الإملاء على حديث الأعمال بالنيات"۔ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: ١٢)، وقال الإمام السيوطي في "المنهاج السوي " (ص: 67) : (لم يتمه)۔

8: "الأحكام"۔ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: (12) ، وقال : (قلت: سماه "خلاصة الأحكام" وصل فيها إلى أثناء الزكاة)، وقال أيضاً: (قال ابن الملقن: رأيتها بخطه ولو كملت كانت في بابها عديمة النظير)، وسماه الإمام السيوطي في "المنهاج السوي " (ص: 63): "الخلاصة في الحديث"۔

9: "التهذيب للأسماء واللغات"۔ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص : 12 - 13)، وعرفه بقوله : (الواقعة - أي الأسماء واللغات - في "المختصر" للمزني، و"الوسيط"، و " الوجيز"، و"التنبيه، و"المهذب"، و"الروضة"، مات عنه مسودة فبيضه المزي)، وذكره الإمام السيوطي في "المنهاج السوي " (ص: 63)۔

10: قطعة مسودة في "طبقات الفقهاء"۔ ذكره الخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 12)، وقال: (قلت: اختصر فيه كتاب أبي عمرو ابن الصلاح أيضاً كذلك، وزاد عليه أسماء نبه عليها في ذيل كتابه؛ قال العماد ابن كثير: مع أنها لم يستوعبا أسماء الأصحاب، ولا النصف من ذلك۔۔۔ والعذر عن النووي - رحمه الله تعالى - في ذلك أنه مات عنه وهو مودة، وبيضه الحافظ الجمال المزي تلميذه)؛ وسماء الإمام السيوطي في "المنهاج السوي " (ص: 64) : "طبقات الشافعية"، وقال: (قال الإسنوي: ومات عنها مسودة، فبيضها المزي)۔

11: قطعة في "التحقيق في الفقه" إلى باب صلاة المسافر۔ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 14)، وقال: (قلت: هو كما قال ابن الملقن نفيس، قال: وكأنه مختصر " شرح المهذب"، وقال غيره: إنه ذكر فيه مسائل كثيرة محضة، وقواعد وضوابط لم يذكرها في الروضة في "الروضة")؛ وقال الإمام السيوطي في "المنهاج السوي " (ص: 63) : (وصل فيه إلى صلاة المسافر، ذكر فيها غالباً ما في "شرح المهذب" من الأحكام والخلاف على سبيل الاختصار)۔

12:"الأصول والضوابط "۔ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 15)، و عرف به بقوله: (وهي أوراق لطيفة تشتمل على شيء من قواعد الفقه، وضوابط لذكر العقود اللازمة والجائزة، وما هو تقريب أو تحديد، ونحو ذلك)، وقال السيوطي في "المنهاج السوي " (ص: (65) : (كتب منه أوراق قلائل)؛ وقد طبع الكتاب برمته في "مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي"، العدد الثالث، الصادر عام (1400هـ)، بتحقيق الدكتور: محمد مظهر بقا، وفي" مجلة معهد المخطوطات العربية"، في الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين بتحقيق الدكتور محمد حسن

هيتو، ومن ثم نشر على حدة عن دار البشائر الإسلامية، بيروت سنة : (1406) في (47) صفحة)ـ

13:"بستان العارفين"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص: 15)، وعرف به بقوله : (في الزهد والتصوف، بديع جداً)؛ وقال السيوطي في "المنهاج السوي " (ص: 65) : (لم يتم)؛ وطبع الكتاب عدة طبعات من آخرها طبعة عن دار الكتاب العربي سنة (1405 هـ - 1985م)ـ

14: "دقائق الروضة"ـ ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص : 15) وقال: (وصل فيها إلى أثناء الصلاة، وهي نفيسة سماها " الإشارات لما وقع في الروضة من الأسماء واللغات")؛ وقال السيوطي في "المنهاج السوي " (ص: 64) : (كتب منها إلى أثناء الأذان)ـ

هذا ما استطعت أن أقف عليه من جمع كتب الإمام النووي - رحمه الله تعالى -ـ

المبحث الثاني: عقيدته ومذهبه وأمره بالمعروف وثناء العلماء عليه ووفاته وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عقيدته ومذهبه:

من خلال تتبع بعض كتب الإمام يحيى بن شرف النووي - رحمه الله تعالى - اتضح أن عقيدته أشعرية، والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أنه مقلد في هذا وليس مجتهداً، كما ظهر من نقله لمذاهب القوم، ومن ذلك:

قوله في شرحه على صحيح الإمام مسلم (2/163) عند حديث: « ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى مَالِ مُسْلِمٍ فَاقْتَطَعَهُ »، قال عند شرحه لقوله : وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، قال : (ونظره - سبحانه وتعالى - لعباده رحمته ولطفه بهم)ـ

وقال أيضاً (6/54) عند شرحه الحديث : يَنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ، قال : (هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق ايضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما، أن أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف، وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق؛ والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال: فعل السلطان

كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه: الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف، والله أعلم).

وقال أيضاً (١٧/٢٦٦-٢٦٧) عند شرحه الحديث: "تحاجَتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ؛ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ؛ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ"، قال شارحاً لهذا الحديث: (وفي الرواية الأولى «فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا» هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وقد سبق مرات بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين: أحدهما: وهو قول جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله، ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد، والثاني: هو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث، فقيل: المراد بالقدم هنا المتقدم وهو شائع في اللغة، ومعناه حتى يضع الله تعالى فيها من قدمه لها من أهل العذاب، قال المازري والقاضي هذا تأويل النضر بن شميل ونحوه عن بن الأعرابي، الثاني: أن المراد قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم، الثالث: أنه يحتمل أن في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية، وأما الرواية التي فيها: « يَضَعُ اللهُ فِيهَا رِجْلَه» فقد زعم الإمام أبو بكر بن فورك أنها غير ثابتة عند أهل النقل، ولكن قد رواها مسلم وغيره فهي صحيحة وتأويلها كما سبق في القدم، ويجوز أيضاً أن يراد بالرجل الجماعة من الناس كما يقال: رجل من جراد أي قطعة منه، قال القاضي أظهر التأويلات: أنهم قوم استحقوها، وخلقوا لها، قالوا ولابد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى).وهناك مواطن أخرى لكن أكتفي بما سبق.

أما مذهبه الفقهي فهو: شافعي المذهب، بل من المحققين فيه فتصانيفه تشهد لذلك.

المطلب الثاني: أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، و إنكاره للبدع:

أما أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فأشهر من أن يذكر، وحكاياته في ذلك كثيرة، ومواقفه مع الملك الظاهر التركي ومواجهته له غير مرة، ومكاتبته التي أرسلها إليه معروفة مشهورة، ومن ذلك ما كتبه له في أمره بالعدل في الرعية، وكذلك إزالة المكوس عن الناس، وها نص رسالته له: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله يحيى النواوي، سلام الله ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الأمراء بدر الدين، أدام الله الكريم له الخيرات، وتولاه بالحسنات، وبلغه من خيرات الآخرة والأولى كل آماله، وبارك له في جميع أحواله، آمين.

وينهى إلى العلوم الشريفة [22]أن أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش، وضعف حال، بسبب قلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلة الغلات والنبات، وهلاك المواشي، وغير ذلك.

وأنتم تعلمون أنه يجب الشفقة على الرعية والسلطان، ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم، فإن الدين النصيحة.

وقد كتب خدمة الشرع، الناصحون للسلطان، والمحبون له؛ كتاباً بتذكيره النظر في أحوال رعيته، والرفق بهم، وليس فيه ضرر، بل هو نصيحة محضة، وشفقة تامة، وذكرى لأولي الألباب.

إلى أن قال: وإن هذا الكتاب الذي أرسله إلى الأمير أمانة ونصيحة للسلطان - أعز الله أنصاره - وأنتم مسئولون عن هذه الأمانة، ولا عذر لكم في التأخر عنها، ولا حجة لكم في التقصير فيها عند الله تعالى، وتسألون عنها : (يَوْمَ لا ينفع مالٌ وَلَا بنونَ)[23] (يَوْمَ يَفِرُ الْمَرْءُ منْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ، وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ، وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِي مِنْهُمْ يَوْمَئذ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) [24]

أنتم بحمد الله تحبون الخير، وتحرصون عليه، وتسارعون إليه، وهذا من أهم الخيرات، وأفضل الطاعات، وقد أهلتم له، وساقه الله إليكم، وهو من فضل الله، ونحن خائفون أن يزداد الأمر شدة إن لم يحصل النظر في الرفق بهم؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إلى غير ذلك من المكاتبات، والأمر والنهي الذي كان الإمام يحرص على الإتيان بها [25]

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه كثير من العلماء، وأقروا له بالإمامة والحفظ، ومعرفة الحديث، والتفسير، والفقه، وغيرها من العلوم.

وسأورد بعض أقوال العلماء فيه، وثنائهم عليه:

قال ابن العطار - رحمه الله تعالى - (ت: 764 هـ) : (كان محققاً في علمه وفنونه، مدققاً في علمه وكل شؤونه، حافظاً لحديث رسول الله ، عارفاً بأنواعه كلها، من صحيحه وسقيمه، وغريب ألفاظه، وصحيح معانيه واستنباط فقهه، حافظاً لمذهب الشافعي، وقواعده

---

[22] أي: ترفع إلى علمكم الشريف

[23] القرآن الكريم ، سورة الشعراء: 88

[24] القرآن الكريم ، سورة عبس: 24-27

[25] علاء الدين، علي بن إبراهيم بن العطار، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين سنة الطباعة :(1427هـ ، 2007م)،الدار الأثرية ، عمان ، الأردن ، (ص 101-117)

وأصوله وفروعه، ومذاهب الصحابة والتابعين، واختلاف العلماء ووفاقهم، وإجماعهم، وما اشتهر من ذلك جميعه، وما هجر، سالكاً في ذلك كله ذكر طريقة السلف، قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل، فبعضها للتصنيف، وبعضها للتعليم، وبعضها للصلاة، وبعضها للتلاوة، وبعضها للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر) [26]

وقال الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى - (ت: 748 هـ) : (الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام على الأولياء، صاحب التصانيف النافعة)[27].

وقال السبكي - رحمه الله تعالى-(ت: ٧٧١ هـ) : (شيخ الإسلام، أستاذ المتأخرين، وحجة الله على اللاحقين، والداعي إلى سبيل السالفين، كان يحيى-رحمه الله-سيداً وحصوراً، وليثاً على النفس هصوراً، وزاهداً لم يبالي بخراب الدنيا إذا صير دينه ربعاً معموراً، له الزهد والقناعة، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة، والمصابرة على أنواع الخير، لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التفنن في أصناف العلوم، فقها ومتون أحاديث، وأسماء رجال، ولغة، وصرفا، وغير ذلك [28]

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - (ت: 774 هـ) : (العالم العلامة، شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه) [29]

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي - رحمه الله تعالى - (ت : 840هـ) : (هو الحافظ القدوة، الإمام، شيخ الإسلام، كان فقيه الأمة وعلم الأئمة [30]-وقال عنه ابن العماد - رحمه الله تعالى.

المطلب الرابع: وفاته:

وفي سنه 676هـ رجع إلى نوى بعد أن رد الكتب المستعارة من الأوقاف، وزار مقبرة شيوخه ، فدعا لهم وبكى ، وزار أصحابه الأحياء وودعهم وبعد أن زار والده زار بيت المقدس

---

[26] المرجع نفسه ، (ص : 67)

[27] تذكرة الحفاظ ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الطباعة: دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، سنة: (1419هـ ، 1997م)، (4/174)

[28] تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، الطبعة الأولى: مطبعة عيسى الحلبي البابي ، القاهرة ، سنة: (1383هـ ، 1964م) ، الطبعة الثانية: مطبعة دارهجر ، القاهرة ، سنة: (1413هـ، 1992م)،(1/395

[29] البداية والنهاية (13/294

[30] ابن حماد الحنبلي ، ابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي ، شذرات الذهب ، الطباعة: دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، سنة: (1404هـ، 1986م)، (4/10

والخليل ، وعاد إلى نوى فمرض بها وتوفي الإمام يحيى بن شرف الدين النووي - رحمه الله تعالى - ليلة الأربعاء في الرابع والعشرين من رجب، سنة ست وسبعين وست مئة، ودفن ببلده - رحمه الله رحمة واسعة. ولما بلغ نعيه إلى دمشق ارتجت هي وما حولها بالبكاء ، وتأسف عليه المسلمون أسفاً شديداً، وتوجه قاضي القضاة عز الدين محمد بن الصائغ وجماعة من أصحابه إلى نوى للصلاة عليه في قبره ، ورثاه جماعة . وهكذا انطوت صفحة من صفحات علم من أعلام المسلمين ، بعد جهاد في طلب العلم ، ترك للمسلمين كنوزاً من العلم ، لازال العالم الإسلامي يذكره بخير ، ويرجو له من الله تعالى أن تناله رحماته ورضوانه-رحم الله الإمام النووي رحمة واسعة وحشره مع الذين أنعم الله عليهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

منزلة (رياض الصالحين) عند أهل العلم

كتاب رياض الصالحين كتاب جليل، عظمت وصية العلماء به، فانتشر في البلاد، وعم النفع به بين العباد. وذلك راجع إلى عدة أمور، أهمها أمران:

الأول: ما علم من إخلاص جامعه الشيخ النووي - رحمه الله تعالى - فكان من ثمرة إخلاصه أن بارك الله في كتابه ونفع، وقد قال ابن عباس ﷺ: " إنما يدرك الرجل على قدر نيته ".

الثاني: الحاجة الملحة لعموم الأمة إلى كتاب في الأخلاق والآداب والترغيب والترهيب، مثل: (رياض الصالحين)، ذلك لأن الكلام في هذه الأبواب مما تأنس به الفطر السليمة، ويتلقاه الناس بالقبول. فوقع الكتاب موقعاً عظيماً، فكان كالعافية للبدن، وكالشمس للدنيا، ما عنهما من عوض. ويؤكد هذا المعنى ما قاله مصنفه:

" وأرجو إن تم هذا الكتاب أن يكون سائقاً للمعتني به إلى الخيرات، حاجزاً له عن أنواع القبائح والمهلكات ".

وقال الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ):

«نسأل الله علماً نافعاً، تدري ما العلم النافع ؟ هو ما نزل به القرآن وفسره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً؛ ولم يأت نهي عنه، قال عليه الصلاة والسلام: " من رغب عن سنتي فليس مني ". فعليك يا

أخي بتدبّر كتاب الله، وبإدمان النظر في الصحيحين وسنن النسائي ورياض النواوي وأذكاره تفلح وتنجح». [31]

وقال العلامة ابن الوزير اليماني (ت 840 هـ):

"القسم الثاني من العلم : ما يحتاج إليه في الدين، وهو قسمان: قسم لم يختلف في حسنه مثل النصوص في الحديث، والإجماع من تفسير الإسلام، والإيمان الواجب، وعلم الزهد. ومن أنفس كتبه رياض الصالحين للنووي، لاقتصاره على الحديث القوي، وهو من الكتب الخالية من البدع " [32]

وقال الحافظ السخاوي (ت 902هـ):

" رياض الصالحين كتاب جليل لا يستغنى عنه "

عدول الكلام عن مقتضى الظاهر

ذكر علماء البلاغة أثناء تتبُّعِهم وتفحصهم لموضوعات علم المعاني ظاهرة العدول عن مقتضى الظاهر في الكلام البليغ، لسبب من الأسباب البلاغيّة ذات التأثير في القلوب والأذهان والأفكار، لما فيها من دواع فنية رائعة إبداعية تشتمل جمل فكرية، أو تعبيراتٍ جماليّة، أو إشارات نفيسة.فيعد العدول من أكثر الظواهر شائعا في القرآن الكريم والأحاديث النبوية لما يحمله من أسباب تعبيرية يتباهر فيها ذك الكلام الذي يعدل بتراكيبه على خلاف مقتضى الظاهر جريا مع مطالب المعنى وكل الظروف التي تحصر بالحدث الكلامي حيث لا يكون العدول عن ذلك الأصل إلا لأسرار بلاغية ونكت معنوية ولطائف علمية لاطريق إلى تفحصها إلا عبر تلك الأساليب التي تظهر في أنماط شتى من فنون الكلام وهو ما أذكر إلى التنبيه في هذا المبحث المفيد، فبداية هذا المبحث ستكون توطئة لمعرفة المقصود بخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر،يتبع ذلك ذكر لأهم المواضع التي يخرج فيها الكلام مطلقاً على خلاف مقتضى الظاهر،يليه وقفة لمعرفة المقصود ببعض مصطلحات هذه المواضع،خاصةً تلك التي وردت في آيات الأمثال والأحاديث موضع الدراسة،مع تتبع وإحصاء لأكثر هذه الأساليب وروداً،وأهم

---

[31] شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير النبلاء، سن الطباعة : 2020 م ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، تحقيق: المحقق شعيب الأرنؤوط ، : (340/19)

[32] ابن الوزير ، محمد بن إبراهيم ، إيثار الحق على الخلق ، سن الطباعة : 1985م ، الدار اليمنية ، ص 33

السمات المميزات التي تميزها وتفرقها،ثم وقفة تحليلية سريعة لمعرفة بعض من الأغراض البلاغية،والنكات والعلل لعدول الكلام عن مقتضى الظاهر في آياتٍ وأحاديث من الأمثال الصريحة.

نماذج الالتفات في أحاديث رياض الصالحين

1 : (من المتكلم إلى الغيب)

و عن ابْن مسْعود ﷺ، قال: كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم في قبة نحوا من أربعين، فقال : أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قلنا : نعم - قَالَ: ". أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قلنا : نعم ، قال: "والذي نفس محمد بيده ، إني لأرْجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر. [33]

قد التفت في قوله (والذي نفس محمد بيده) لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم كان يكلم أصحابه ، فقال: (والذي نفسي بيده) . لكنه حول كلامه من المتكلم إلى الغيب .

2 : (من المخاطب إلى الغيب)

وعن عائشة ﷺ ، قالت: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم - كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع ، فيقول: " السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد " . [34]

التفت في كلام سيد المرسلين محمد صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم (اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) ، لأنه كان يخاطب قوما مؤمنين ولكنه حول كلامه من المخاطب إلى الغيب وكان يستطيع أن يقول: (اللهم اغفر لكم) ولكنه قال: اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) .

---

[33] أبو زكريا ، يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، مترجمه: أبو العلاء محمد محي الدين جهانكير ، شبير برادرز ، لاهور ، سنة الطباعة: (1429 هـ ، 2008 م) ، رقم الحديث: 434

[34] أبو زكريا ، يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، مترجمه: أبو العلاء محمد محي الدين جهانكير ، شبير برادرز ، لاهور ، سنة الطباعة: (1429 هـ ، 2007 م) ، رقم الحديث: 575

3 : (من الواحد إلى الجمع)

عن أبي موسى الأشعري ﷺ ، قال: دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ورجلان من بني عمي ، فقال أحدهما: يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم: أمرنا على بعض ما ولاك الله - عزوجل ، وقال اخر مثل ذلك ، فقال: " إنا والله لا نولي هذا العمل أحدا سأله ، أو أحدا حرص عليه .[35]

التفت في هذا الحديث في الكلمات (إنا والله لا نولي) ، عندما قال رجلان: (أمرنا على بعض ما ولاك الله) فكان يستطيع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم أن يقول مثل: (إني والله لا أولي) ولكنه قال: (إنا والله لا نولي) فهكذا قد التفت من الواحد إلى الجمع.

أمثلة الإظهار في موضع الإضمار

١ :عن أنس ﷺ أن رجلا كان عند النبي صلى اللّه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ، فمر رجل به فقال: يا رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم! إني لأحب هذا ، فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم: أأعلمته ؟ قال: لا، قال: اعلمه فلحقه فقال: إني أحبك في الله ، فقال : أحبك الله الذي احببتني له[36]

في هذا الحديث قد ورد الإظهار في موضع الإضمار لأن رجلاً عندما قال: يا رسول الله ! إني لأحب هذا, ثم فقال له أي رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ولكن ذكر رسول الله موجود لتعظيم رسول الله وشأنه وقيل: فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم أي ذكر النبي قد أتي به مرة ثانية.

٢:وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم: من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل. وفي رواية لمسلم: من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار.[37]

---

[35] أبو زكريا ، يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، مترجمه: أبو العلاء محمد محي الدين جهانكير ، شبير برادرز ، لاهور سنة الطباعة: (1429 هـ ، 2008 م) ، رقم الحديث: 683

[36] أبو زكريا ، يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، مترجمه: أبو العلاء محمد محي الدين جهانكير ، شبير برادرز ، لاهور سنة الطباعة: (1929 هـ ، 2008 م) ، رقم الحديث: 377

[37] أبو زكريا ، يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، مترجمه: أبو العلاء محمد محي الدين جهانكير ، شبير برادرز ، لاهور سنة الطباعة: (1429 هـ ، 2008 م) ، رقم الحديث: 415

الحديث المذكور مثال من أمثلة قد ورد به الإظهار في موضع الإضمار لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم قال في رواية لمسلم: من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولكن ذكر الضمير (ه) يمكن إتيانه هنا. بوجه التعظيم والتكريم وجلالته وعزته قيل محمداً رسول الله في موضع (محمداً رسوله) . يعني الإظهار في موضع الإضمار موجود.

3 : وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي صلى اللّه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم فقال: يا رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم: دلني على عمل إذا عملته احبني الله واحبني الناس ، فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس. [38]

في آخر الحديث قيل: وازهد فيما عند الناس يحبك الناس ويمكن أنه قال: وازهد الناس يحبوك وليس ذكر الناس مرة أخرى واكتفى ذكر الكلمة مرة واحدة ولكن قد ورد الإظهار في موضع الإضمار هنا.

نموذج أسلوب الحكيم

وعن عائشة ﷺ أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ؟ فقالوا: من يجرء عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ؟ فكلمه أسامة ، فقال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم : أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟! ثم قام فاختطب ، ثم قال: إنما أهلك من قبلهم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ٦٥٤

هذا الحديث واحد من نماذج أسلوب الحكيم لأن جاء أسامة وقال (كان يسأل) فأجيب ما ليس يتعلق بالأمر(كان يسأل عنه أسامة) نفسه ولكن رسول الله أجاب ما يفيد الناس في حياتهم. إذا ترك الشريف وأقيم على الضعيف الحد ففسدت البيئة.

سوق المعلوم مساق غيره

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم : (يومئذ تحدث أخبارها) (القرآن الكريم ، سورة الزلزال: ٤) ، ثم قال: أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا: الله

---

[38] أبو زكريا ، يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، مترجمه: أبو العلاء محمد محي الدين جهانكير ، شبير برادرز ، لاهور سنة الطباعة: (1429 هـ ، 2008 م) ، رقم الحديث: 475

ورسوله أعلم . قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول: عملت كذا وكذا في يوم كذاوكذا فهذه أخبارها [39]

سأل رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم في هذا الحديث بأصحابه عن أخبار الأرض يوم القيامة وهو عالم بأخبارها . يعني هذا الحديث مثال من أمثلة سوق المعلوم مساق غيره .

تعبير المستقبل بلفظ الماضي

وعن جابر ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ، فقال: يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم! ما الموجبتان ؟ قال: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك به شيئا دخل النار. [40]

في هذا الحديث قال رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم: من مات. ولكن هذا اللفظ في الزمن الماضي يعبر المستقبل أي يموت لايشرك بالله شيئا، يدخل الجنة .

تعبير الماضي بلفظ المستقبل

وعن أنس ﷺ : أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل ، قال : يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم وسعديك ، قال : يا معاذ ! قال لبيك يا رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم وسعديك! قال: يا معاذ! قال لبيك يا رسول الله صلى اللّه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم وسعديك ، ثلاثا ، قال: ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار ، قال : يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم! أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال: إذا يتكلوا ، فأخبر بها معاذ عند موته تأثما .[41]

---

[39] أبو زكريا ، يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، مترجمه: أبو العلاء محمد محي الدين جهانكير ، شبير برادرز ، لاهور سنة الطباعة: (1429 هـ ، 2008 م) ، رقم الحديث : 654

[40] أبوزكريا ، يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، مترجمه: أبو العلاء محمد محي الدين جهانكير ، شبير برادرز ، لاهور سنة الطباعة: (1429 هـ ، 2008 م) ، رقم الحديث: 417

[41] أبو زكريا ، يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، مترجمه: أبو العلاء محمد محي الدين جهانكير ، شبير برادرز ، لاهور سنة الطباعة: (1429 هـ ، 2008 م) ، رقم الحديث: 418

(ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار) هذه الجملة في زمن المستقبل يعبر زمناً ماضياً أي من شهد شهادة التوحيد والرسالة فحرمه الله تعالى على النار.

مكانة البحث :

أظن هذا بحثي سيكمل في باكستان ولا أحتاج إلى زيارة البلاد الأجنبية لأن كثيرا من المصادر والمراجع توجد في الجامعات الباكستانية. لأن هذا الموضوع يتعلق بأحاديث رسول الله وأقاويله التي توجد في رياض الصالحين. وهناك كثيرمن الكتب التي ألفت في توضيح وتشريح " رياض الصالحين". لأن هذا الموضوع يتعلق بفن من فنون البلاغة أي: "عدول الكلام عن مقتضى الظاهر" فهناك كثير من الكتب التي تكتب على البلاغة والفصاحة توجد في الجامعات الباكستانية. سأكون أستطيع أن أكمل هذه الأطروحة سهلا بوسيلة الأساتذة والعلماء الأجلة بالجامعات والمدارس الدينية الباكستانية وخصوصاً بإرشاد الأستاذ الدكتور افتخار أحمد خان المحترم والمكرم، المشرف على بحثي مدّ ظله العالي وبتوفيق الله تعالى وبعونه إن شاء الله تعالى.

النتائج

إذن وصلنا في الأخير لمجموعة النتائج من عدول الكلام عن مقتضى الظاهر في آيات الأمثال القرآنية والأحاديث النبوية جاء بصور مختلفة كاشفة لبعض الأسرار البلاغية من التغليب والالتفات وأسلوب الحكيم وبذكر صيغة الماضي يراد بها المستقبل وغير ذلك، لا لمجرد تغيير في نمط الأسلوب المعتاد؛ تطرية لذهن السامع، وجذباً له، بل هي مع ذلك لأغراض معنوية تتناسب مع سياق الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف،فقد أخذ هذا حظا وافرا في القران والأحاديث وكلام العرب لأنه من أجل علوم البلاغة وأدقها ومن المواقع الهامة التي يتحدث عنها علماء البلاغة يساهم في إيصال تلك المعاني الفصيحة العميقة بأوضح صورة وأوجز مسلك ألي ذهن السامع والقارئ.

وأذكر هنا عدة التوصيات لطلاب اللغة العربية الباحثين خاصة لعلوم البلاغية منها.

توجيه الدراسات إلي علوم الحديث خاصة لأنه منبع لكثير من العلوم والفنون.

الاهتمام بكلام رسول الله صلي الله عليه وسلم والتدبر في أساليب من جهة بلاغية.